جوانب مهمة من الصلات اللغوية والأدبية بين العربية والأردية

عمر فاروق

فذلكة تاريخية:

قبل أن ندخل إلى موضوعنا ونتحدث عن أهم الصلات اللغوية والأدبية بين اللغتين ـ حريٌّ بنا أن نذكر شيئاً من علاقات تاريخية متبادلة بين العرب والهند. فمن المعلوم أن العرب كانت لهم قوافلُ تجارية تجري في طريق الهند منذ زمن قديم، كما أن المياه الهندية ألفت المِلاحة العربية فيها. ثم إن سواحل "مالابار" و"مُكْران/مُكَّران" وما جاورها من القرى والمدن، فأراضيها إنما استأنست بوطء أقدام العرب تجَّاراً فغزاة. ويشير التاريخ إلى وجود مستوطنات وجاليات، ثم حكومات عربية في هذه المنطقة، وما نشأ إثر ذلك من روابط المصاهرة بين الأمتين، كما أن أجناساً من الهنود لها تواجد تاريخي قديم في الجزيرة العربية كذلك[1]. عليه فإن التأثير والتأثر قد حصل من كلا الجانبين وإن كان الجانب العربي أقلَّ تأثراً من

١- راجع للتفصيل:

* عبد المنعم النمر، **تاريخ الإسلام في الهند**، القاهرة، ١٩٨٩م.
* السيد معصوم بكر المعصومي السندي، **تاريخ السند** (المعروف بـ: **تاريخ المعصومي**)، مراجعة: عمر بن محمد داود فوته (*داؤدپوته*)، مومباي، ١٩٣٨م.
* إحسان حقي، **تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية**، بيروت، ١٩٧٨م.
* أحمد محمد الساداتي، **تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية الباكستانية وحضارتهم**، مكتبة الآداب، الجماميز، مصر، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م، الجزء الأول.
* عبد الله محمد جمال الدين، **التاريخ والحضارة الإسلامية في الباكستان أو السند والبنجاب إلى آخر فترة الحكم العربي (١٥-٤١٦هـ/ ٦٣٦-١٠٢٥م)**، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٩١م.
* أبو المعالي أطهر المباركپوري الهندي، **رجال السند والهند إلى القرن السابع الهجري**، مومباي، ١٩٥٨م.

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

الثاني. وما دامت هذه العلاقات متبادَلة نقسمها إلى قسمين:

تأثر العرب بالهند:

كان العرب ـ على حد تعبير يوسف الهندي ـ قد أحبوا الهند لدرجة "أنهم اتخذوا منها اسماً لنسائهم"(٢). وكذلك عرفوا "الهندية أو المهنَّدة"، وهي السيوف التي كانت تُجلب إليهم من الهند. كما أن

---

* أبو المعالي أطهر المباركپوري الهندي، **العرب والهند في عهد الرسالة**، تعريب عن الأردية: عبد العزيز عزت عبد الجليل، القاهرة، ١٩٨٠م.
* أبو المعالي أطهر المباركپوري الهندي، **العقد الثمين في فتوح الهند ومن ورد فيها من الصحابة والتابعين**، القاهرة، ١٩٨٠م.
* محمود محمد عبد الله، **اللغة العربية في باكستان: دراسة وتاريخ**، وزارة التعليم الفيدرالية، إسلام آباد، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
* السيد سليمان الندوي، **الملاحة العربية**، تعريب عن الأردية: مصباح الدين عبد الرحمن، منشور تباعا في مجلة **الثقافة الإسلامية** الصادرة في حيدرآباد الدكن بالهند، أعداد: أكتوبر ١٩٤١م ـ أكتوبر ١٩٤٢م.
* عبد الله مبشر الطرازي، **موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب في عهد العرب**، عالم المعرفة، جدة، ١٩٨٣م، المجلد الأول.
* أحمد شلبي، **موسوعة التاريخ والحضارة الإسلامية**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٨٣م، المجلد الثامن.
* أبو المعالي أطهر المباركپوري الهندي، **الهند في عهد العباسيين**، القاهرة، ١٩٨٠م.
* أحمد معوض، **تاريخ الإسلام في شبه القارة الهندية**. انظر: أحمد معوض، **باكستان المعاصرة**، دار التعاون للطبع والنشر، القاهرة، ط ١، ١٩٧٦م، ص ٣٨، (بالهامش).
* محمد اسحاق بھٹی، **برِصغیر میں اسلام کے اوّلین نقوش**، ادارۂ ثقافتِ اسلامیہ، لاهور، ط٢، ١٩٩٤م.
* ڈاکٹر تاراچند، **تمدنِ ہند پر اسلامی اثرات**، ترجمة: محمد مسعود احمد، مجلس ترقی ادب، لاهور، ط١، ١٩٦٤م. (الأصل الإنجليزي مذكور أدناه).
* سید سلیمان ندوی، **عربوں کی جہازرانی**، اسلامک ریسرچ ایسوسی ایشن، مومباي، ط٢ (مزيدة ومنقحة)، بدون سنة. (ترجمته العربية مذكورة أعلاه).
* سید سلیمان ندوی، **عرب وہند کے تعلقات**، إله آباد، الهند، ١٩٣٠م.
* مؤلف مجهول، **فتح نامہ سند** (ويعرف بـ: **چچ نامہ** أيضاً)، مفقود الأصل العربي، نقله إلى الفارسية: علي بن حامد بن أبي بكر الكوفي، قدم له ونشره نبي بخش البلوصي (نبی بخش بلوچ) في إسلام آباد، ١٩٨٣م.
* قاضی اطہر مبارکپوری، **ہندوستان میں عربوں کی حکومتیں**، پروگریسو بکس، لاهور، ١٩٨٩م.

* George Fernando Hourani, *Arab Seafaring in the Indian Ocean in Ancient and Medieval Times*, Princeton University Press, ١٩٥١.
* K. S. Lal, *Early Muslims in India*, New Delhi, ١٩٨٤.
* Dr. Tara Chand, *Influence of Islam on Indian Culture*, The Indian Press, Allahabad, ١٩٤٦.
* Sir. H. M. Elliot, *The History of India as Told by its Own Historians*, Ed.: John Dawson, Calcutta, ١٨٦٧.

٢- محمد يوسف الهندي، "بدء العلاقات العلمية بين العرب والهند"، **مجلة كلية الآداب**، جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ج١٢، الجزء الأول [كذا]، مايو ١٩٥٠م، ص ٩٧.

الرماح الخَطِّيَّة التي اشتهرت بين العرب فكانت أيضاً تُنقل منها إلى "الخَطِّ"، وهو موضع على ساحل البحرين، فنُسبت إليه. وكذا هو الأمر فيما يتعلق بـ: "مسك دَارِيْن"، أي المسك الهندي الذي جُلب إلى "دارين"، إحدى موانئ البحرين[٣]. ثم إن "عود المَنْدَل" و"فوه الهال" (أو الهِيْل، أي حَبَّهان) فإنما كانا في الأصل من أسماء الأمكنة الواقعة على شواطئ الهند التي سُمِّيت الأشياء المستوردة منها بمسمَّياتها[٤]. وأما البضائع التجارية الأخرى التي كانوا يستوردونها من الهند فتُعرض في أسواق الأَبْلَّة وظَفَار وعَدَن وعُكَّاظ ونجران وغيرها من بلاد العرب، فمنها: الجوز الهندي، والصَنْدَل، والخَيْزُران، والقماش من أنواع مختلفة، ثم الأَرُزُّ والقمح والبَهَارات أو التوابل نحو: الزنجبيل والقَرَنْفُل والفلفل[٥].

وقد أمكن العرب القُدامَى ـ من خلال هذا الاتصال التجاري السحيق في الزمن ـ التعرُّف إلى بعض اللغات الهندية المنطوق بها وقتئذ في مختلف أنحاء البلاد، ووجدت بعض المفردات اللغوية الهندية طريقها إلى الشعر الجاهلي، ثم إلى القرآن الكريم أيضاً كألفاظ حية شائعة. من هذه الكلمات الدخيلة في العربية: الفلفل والقرنفل والمسك والزنجبيل والكافور[٦] والفيل[٧][٨].

٣- طه حسين وآخرون، **التوجيه الأدبي**، دار المعارف، القاهرة، بدون سنة، ص٢١٠.

٤- محمد يوسف الهندي، "بدء العلاقات العلمية بين العرب والهند"، ص ٩٨.

٥- *محمد اسحاق بھٹی*، ***برصغیر میں اسلام کے اوّلین نقوش***، ص ٢٩.

٦- خالف بعض الباحثين في كون كلمة "الكافور" هندية الأصل، وإنما ذهب بعد دراسة فاحصة إلى أنها من أصل سامي واردةً في القرآن بمعنى الحِنَّاء أو عطر الحناء. انظر: محمد اقتدار حسين الفاروقي، "أصل كلمة الكافور وحقيقتها"، تعريب: محمد صلاح الدين العمري، **مجلة المجمع العلمي الهندي**، ربيع الأول ١٤١٢هـ/ أكتوبر ١٩٩١م، ج ١٤، ع ١-٢،ص ١٧٤-١٨٥. (وهو أصلاً جزء من كتاب ألَّفه الدكتور الفاروقي بالإنجليزية بعنوان: *Plans of the Quran*).

٧- أما كلمة "الفيل" فليست فارسية كما هو معروف، وإنما هي من أصل سنسكريتي انتقلت منه إلى كل من الفارسية والأشورية فالعربية. انظر: محمد يوسف الهندي، **علاقة العرب التجارية بالهند**، ص٤، نقلاً عن: *عبدالمجید ندوی*، ***عربی زبان وادبیات میں ہندی اثرات***، مجلة **معارف** الأردية الصادرة في الهند، محرم ١٣٨٩هـ/ أبريل ١٩٩٦م، ج ١٠٣، ع ٤، ص ٢١٤.

٨- *سید سلیمان ندوی*، ***عرب وہند کے تعلقات***، ص٧٢؛ *سید سلیمان ندوی*، ***عربوں کی جہازرانی***، ص ١٢؛ جميل أحمد، **حركة التأليف باللغة العربية في الإقليم الشمالي الهندي في القرنين الثامن والتاسع عشر الميلادي**، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٧م، ص ٣٥؛ وانظر لذلك أيضاً: *عبدالمجید ندوی*، ***عربی زبان وادبیات میں ہندی اثرات***، مجلة **معارف**، محرم ـ صفر ١٣٨٩هـ/ أبريل ـ مايو ١٩٩٦م، ج ١٠٣، العددين: ٤-٥،ص ٢٩٩-٣١٤ و ٣٩٠-٣٩٨ على الترتيب.

وعلاوةً على هذه التجارة والاستيراد فإن كثيراً من العرب مكثوا بالهند واستوطنوها جالياتٍ، خاصةً بعد بزوغ شمس الإسلام لما فتح المسلمون بعض مناطق الهند في أوائل خلافة الفاروق عمر رضي الله عنه سنة ١٥هـ/ ٦٣٦م، مع كونه شديد الحذر من "حمل الدود على العود" كما كتب إلى والي البحرين عثمان بن أبي العاص الثقفي (٥١هـ/ ٦٧١م) الذي قام بإعداد ثلاث حملات بحرية ليطرق الهند من ثلاثة جوانب. فأرسل أخاه الحكم لمهمة شن الغارة البحرية أولاً على "ثانه/ *تھانہ*"، ثم على "بروص/ *بھڑوچ*" ـ مدينتين بالقرب من "مومباي/ *ممبئی*" و"أحمد آباد" حالياً بالهند. كما أرسل أخاه الثاني المغيرة إلى ميناء "الديبل أو دايبول/ *دیبل*" ـ وهي مدينة "بانبور/ *بھنبھور*" الآن في باكستان(٩). ثم توالت الفتوحات حتى جاء محمد بن القاسم فهجم هجمته القاضية على السند والهند، فانتظمت حكومتها تحت قيادته، وكثرت اتصالات المسلمين العرب بالهند، وازدادت عملية الأخذ والعطاء في مجال اللغة كذلك.

فقد أشار الباحثون إلى كثير من الكلمات المحلية التي دخلت لغةَ الفاتحين بعد ذلك، ولكن يجب التنويه في هذا المقام بأن أحد علماء الأردية الدكتور سيد عبد الله (ف: ١٩٨٦م) قام بإجراء بحثٍ ـ حول قضية التنقيب عن النواة الأوليَّة للُّغة الأردية ـ حاول فيه بنجاح استكشاف الكلمات الهندية الأصل من خلال تواليفَ عربية أُلِّفت في أحوال الهند وأهلها وما لديهم من فنون مثل كتب التاريخ والجغرافيا والرحلات. وذلك لكي يتبين منها الموارد المحلية الأولى التي نَهِلَتْ منها الأردية في أول نشأتها، لأن النماذج الكتابية للغات المحلية الإقليمية بالهند لا ترجع إلى ما وراء القرن الخامس أو الرابع عشر الميلادي على الأكثر(١٠).

تأثر الجانب الهندي:

أما الحفاوة المتبادرة من أهل الهند تجاه العرب والجزيرة العربية من عهد ما قبل الإسلام فلها من شواهد ما سنذكر بعضها فيما يلي: فأول شيء يقابلنا في هذا الصدد هو وجود بعض الأقوام من الهنود في شبه الجزيرة العربية، منها: الزُّطُّ والمِيْد والسيابجة والبياسرة والأحامرة والأساورة(١١). وهؤلاء الناس

٩- أبو العباس أحمد بن يحيى البلاذري، **فتوح البلدان**، تحقيق: إم. جَي. دي جوجه، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٦٨م، ص٤٣١-٤٣٢؛ عبد الله محمد جمال الدين، **التاريخ والحضارة الإسلامية في الباكستان أو السند والبنجاب إلى آخر فترة الحكم العربي**، ص ١٧. وأما ما قاله الدكتور عبد الله جمال الدين في المرجع الأخير من أن عثمان الثقفي تولَّى بنفسه قيادة الحملة الأولى، فهو ما لا تؤيده المصادر فيما بحثنا.

١٠- انظر: ڈاکٹر سید عبداللہ، **مباحث**، مجلس ترقی ادب، لاهور، ط١، ١٩٦٥م، ص ٣-٤١.

١١- محمد اسحاق بھٹی، **برصغیر میں اسلام کے اوّلین نقوش**، ص ١٦-٢٧.

ارتحلوا إلى بلاد العرب عن طريق اليمن وفارس لأسباب اقتصادية تجارية وأخرى سياسية، ولكنَّ هناك عاملاً آخر وراء ذلك لا يَقِلُّ ـ فيما نعتقد ـ أهميةً وتأثيراً من العوامل الأخرى: ألا وهو ورود بعض النبوءات عن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم في كتب الهنود المقدسة حيث يطالعنا في "بويش فران/ *بھویش پران*" و"أثرويد/ *اتھرويد*" وصفٌ لموكب البعثة النبوية الشريفة يُشْبِهُ في مجمله ما جاء في الكتاب المقدس من إخبار عن رسول اسمه أحمد صلى الله عليه وسلم(١٢)(١٣).

فمن ذلك ما يدل على لهفة أهل الهند للإسلام أن حاكماً هندوسياً لإحدى الإمارات الهندية أرسل "الزنجبيل" هديَّةً للنبي عليه السلام(١٤)، كما أن التاريخ يُطْلِعُنا على أن أهل جزيرة "سِيْلان أو سرنديب/ *سراندیپ*" (سري لانكا حالياً) "أرسلوا رجلاً فهيماً منهم وأمروه أن يسير إليه (أي الرسول)، فيعرف أمره"(١٥)، ووصل الرجل بعد رحلة شاقَّة إلى المدينة في عهد أمير المؤمنين عُمَرَ بْنَ الخطَّاب رضي الله عنه، "فسأله عن أمر النبي، صلى الله عليه وسلم، فشرح له وبيَّن"(١٦).

وإلى جانب ذلك نعلم أن اللغة العربية كانت معروفة ـ كذلك ـ لدى نخبة من رجال الهند منذ عهد قديم. ومن شواهده ما نقله السيد سليمان الندوي (١٩٥٣م) عن الباندیت "سوامي ديانند جي" ـ أحد علماء الهندوس ـ أن "دروجي" كشف لـ: "باندو/ **پانڈو**" عن مؤامرة أعدائهم "كورو" باللغة العربية، وأجابه "بدشتر/ *بدھشٹر*" بالعربية كذلك(١٧). ويعني ذلك أنهم كانوا يستخدمونها كالشَّفْرة أو اللغة السرية فيما بينهم أثناء حربٍ تاريخيةٍ قديمة اندلعت بين عشيرتَيْ "باندو" و"كورو" معروفةٍ بـ: "المَهَابَهَاراتا/ ***مہابھارت***"(١٨).

١٢- *علی اکبر*، ***اسرائیل اور قرآنی پیش گوئیاں***، ترجمة: *محمد افضل میاں*، *شیخ غلام علی اینڈ سنز*، لاهور، بدون سنة، ص ١٥-١٦.

١٣- أُدرجت هذه الإحالة وأمثالها تمشِّياً مع النفسية الإنسانية العامَّة التي قد لا يصدق عليها الواقع، ولكن إنما تُذكر هذه الأشياء في مثل هذا الموطن لمكانتها الثقافية المتأصلة في اللاشعور الجمعي العالمي الذي انبنت عليه المثيولوجيا والتاريخ والديانة في نشأتها البدائية.

١٤- أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ج٤، ص١٣٥.

١٥- بُزُرْك بن شهريار الناخُذاه الرامهُرْمُزي، **عجائب الهند وبره وبحره وجزائره**، تحقيق: پ. أ. فان ديرلث، (مع ترجمة فرنسية من: مارسيل ديفك)، إي. جَيْ. بريل، ١٨٨٣-١٨٨٦م، ص١٥٦.

١٦- المصدر السابق، الصفحة نفسها.

١٧- *سید سلیمان ندوی*، ***عرب وہند کے تعلقات***، ص ١١.

١٨- وقد وردت تفاصيل وقائع هذه الحرب القديمة الكبرى في كتاب يحمل العنوان نفسه، أي **"المهابهاراتا"**، ويُعتبر "أكبر ملحمة شعرية في العالم، إذ يبلغ عدد أبياتها مائة ألف بيت شعر، أي ضعف حجم **الشاهنامه** (للفردوسي، وثلاثة أضعاف حجم ملحمتَيْ **"الإلياذة"** و**"الأوذيسَّة"** لهوميروس في مجموعهما، وهي تُشْبِهُ هذه الثلاثةَ في سردها الأسطوري).. ويرجع تاريخها (تاريخ المهابهاراتا) إلى ما يقرب من ثلاثة آلاف سنة أو أكثر". انظر: محمد التونجي، **المعجم المفصل في الأدب**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ج ٢، ص ٨٣١.

هذا، وبعد أن مضى على ذلك حين من الدهر، وقد أخذ العرب المسلمون في غزو الهند وقامت بينهم وبين أهلها أنواع من العلاقات ـ عند ذلك نجد كثيراً من أهالي الهند يعرفون العربية و يأْلَفُونها بحكم التفاعل الزائد الحاصل مع أبنائها، وكان بعض الأمراء الهندوس يُلِمُّون بها أيضاً حتى وُجِدَ فيهم من يستظهر الشعر العربي ويستشهد ببعض الأبيات من شعر حسَّان بن ثابت لَمَّا يأتيه عبد الرحمن بن الأشعث (٨٥هـ/ ٧٠٤م) ملتجئاً بعد هزيمة لَقِيَها على أيدي الجيش الذي أرسله الحجَّاج لمعاقبته كخارج على الأمويين(١٩).

ثم إنه قد أتى على بعض مناطق الهند فترةٌ بعد الفتح الإسلامي أصبحت فيها العربية ـ جنباً لجنبٍ مع اللغات المحلية ـ لغةَ التحدث لأهل هذه المناطق. فذكر ابن خُرْدَاذْبُه (فـ: حوالي ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م) أن "لسان أهل المنصورة والملتان ونواحيهما العربية والسندية"(٢٠). ومع أن الدول التي أقامها العرب في الهند دامت أكثر من ثلاثة قرون، فإنه لم يبق من آثارها شيء كثير لبعد المسافة الزمنية التي تفصلنا عنها، كما أن الحكومات المسلمة الأخرى في شبه القارة الهندية تركت لنا من آثارها ما استتر وراءه كثير من الشواهد التي كانت ستدلنا على أول عهد المسلمين العرب ولغتهم بالهند(٢١).

ثم حلت الفارسية في العصور اللاحقة محل العربية كلغة رسمية في الدوائر الحكومية بالهند، وإن

١٩- قاضی اطہر مبارکپوری، **ہندوستان میں عربوں کی حکومتیں**، ص ٣١٥.

٢٠- عبيد الله بن عبد الله بن أحمد ابن خرداذبه، **كتاب المسالك والممالك**، تحقيق: إم. جَي. دي جوجه، مطبعة بريل، ليدن ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٩م، ص ١١٧.

٢١- اكتُشف في مدينة "بانبور/ *بهنبور*" التي أسموها قديماً "دايبول/ *ديبل*"، والتي أنشأها المسلمون على أنقاض المدينة السابقة عليها لغير المسلمين، وكانت هي الساحة التي انتصر فيها العرب أول انتصار لهم في السند، اكتُشف في هذه المدينة مسجد شابه المساجد المعاصرة له في كونها بدون المحاريب مثل مسجد الكوفة ومسجد واسط، وبه لوحتان عليهما كتابات عربية تعود إلى سنة ١٠٩هـ/ ٢٩٤م. انظر: محمد رفيق مغل، **المدن الإسلامية الباكرة في السند ـ أمثلة من التجارة العالمية**، ترجمة وتحرير: معتصم يوسف مصطفى، مجلة **الدراسات الإسلامية**، مجمع البحوث الإسلامية، إسلام آباد، ذوالحجة ـ صفر ١٤٢٠هـ/ أبريل ـ يونيو، ١٩٩٩م، ج ٣٤، ع ٢، ص ١٤٢ و ١٥٩-١٦١؛ قاضی اطہر مبارکپوری، **ہندوستان میں عربوں کی حکومتیں**، ص ٧٥.

كذلك عُثر في الحفريات الأخيرة التي أُجريت في مواقع المنصورة على عدة مقابض أبواب من البرونز مكتوب عليها بخطٍّ كوفيٍّ زَهْرِيٍّ الشكل بعض من آيات القرآن واسم صاحب هذه المقابض الأمير عبد الله بن عمر. انظر: محمد رفيق مغل، **المدن الإسلامية الباكرة في السند ـ أمثلة من التجارة العالمية**، مجلة **الدراسات الإسلامية**، ج ٣٤، ع٢، ص ١٤٥ و١٦٣-١٦٥.

كانت العربية متداوَلة بين العلماء لكونها لغة دينية، فبقيت لغة التأليف دون التكلم بجانب الفارسية التي غشَّت المنطقة كلَّها من حيث كونها لغة الحاكمين. وأما هؤلاء الحكام فقد وردوا الهندَ من بلاد آسيا الوسطى ـ وهم يقودون موكب الفتح التركي ـ حاملين معهم عناصرَ فارسيةً استطاعت فرض لغتها عليهم(٢٢). وذلك في غضون سنة ٤١٦هـ (الموافق ١٠٢٥م). وهذا "هو التاريخ الذي شهد ميلاد الدولة الغزنوية... التي تركت اللغة العربية، واتخذت الفارسية لغةً لها، وبثَّت مظاهر الحياة والحضارة الفارسية"(٢٣).

كيفية نشأة الأردية:

وأما فيما يتعلق باللغة الأردية ـ التي سوف نتناول ما بينها وبين العربية من صلات في نوع من التفصيل ـ فعند استعراض تاريخ هذه اللغة من أول أمرها نجدها قد نشأت هندية الأصل في بنيتها اللغوية والنحوية الأساسية، ولكنه لم يتيسر لها النُّضْج والاكتمال، ثم الرُّقِيُّ والتقدم، إلا تحت رعاية قومٍ لا غنى لهم عن العربية كلغة دينهم ولا عن الفارسية كلغة حضارتهم. فهؤلاء هم المسلمون الذين نشأت اللغة الأردية في أحضانهم وترعرعت في كنف رعايتهم، إذ رفعوا من منزلتها بعد أن كانت لغة وضيعة القدر في بداية الأمر، فإن الناطقين بها كانوا من المستضعفين الأَذِلاء الذين لم تكن لهم أية كرامة في المجتمع الهندوسي الذي كَبَسَتْه أقلية قليلة من البراهمة في قبضتها كالأُخطُبوط. فعاش الشعب عيشة العبيد، بل في حالٍ أسوأ منهم. فتقدم المسلمون إليهم وانتشلوهم مما كانوا فيه من حضيض الذلة والمسكنة، كما أكَّدوا أنهم ليسوا بأنجاسٍ على ما زعم البراهمة الذين كانوا قد صوَّروا لهم من خلال ديانتهم الهندوسية تلك الصورة البغيضة التي لا تليق بالإنسانية البتَّة، ولا يمكن لأيِّ إنسان أن يختارها لنفسه عَوْضُ؛ والتي كان قد بُني على أساسها التقسيم النوعي لمواطني شبه القارة الهندية إلى أربعة أجناسٍ آدمية. فقُيِّضَ فيه لهؤلاء العامَّة أن يعملوا مُجْبَرين، ومن جيلٍ إلى جيل، كخَدَمٍ لمن فوقهم في هذا النظام الاجتماعي(٢٤).

في هذه الظروف بسط المسلمون إليهم يد العون والشفقة، وبلَّغوهم رسالة الإسلام السَّمْحة،

٢٢- عبد الوهاب عزام بك، **اللغة الفارسية في الهند، مجلة كلية الآداب**، جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ج ٢، ع ٩، ديسمبر ١٩٤٧م، ص ٤.

٢٣- عبد الله محمد جمال الدين، **التاريخ والحضارة الإسلامية في الباكستان أو السند والبنجاب إلى آخر فترة الحكم العربي**، ص ٣.

٢٤- انظر لتفصيل هذه الأمور: محمد اسحاق بھٹی، **برِّصغیر میں اسلام کے اوّلین نقوش**؛ شیخ محمد اکرام، **آبِ کوثر**، ادارۂ ثقافتِ اسلامیہ، لاهور، ١٩٩٦م.

كما كسبوا لهم حقوق الدرجة الأولى من المواطنين أيضاً[٢٥]. ومن أجل ذلك اتخذوا لغة هؤلاء الجماهير ـ وهي الأردية في شكلها البدائي، وكانت تُسمَّى "الهندوية" ـ اتخذوها لغة اتصال وتواصل، ونهضوا بها إلى درجةٍ حيث صارت لغة وحيدة من بين اللغات الهندية الكثيرة لها قَبول واسع وشعبية ساحقة في معظم أرجاء البلاد[٢٦]. فخلفت الفارسيةَ في مجال الأدب والحضارة، كما اتخذت نماذجها الأدبية واللغوية من الفارسية كذلك التي كانت متأثرة ـ وهي الأولى في هذا الصدد ـ بالعربية إلى حدٍّ بعيد. وهذا ما سنلقي عليه بعض الضوء فيما يأتي إن شاء الله. فقرض القوم الشعر بالأردية على منوال الشعر الفارسي، وألَّفوا في القواعد على نمط القواعد النحوية الفارسية، وكذلك الأمر فيما يتعلق بالفنون الأدبية الأخرى. وذلك بالإضافة إلى استمدادها ما يربو على خمسين في المائة (٥٠٪) من الألفاظ العربية والفارسية فيما كانوا يكتبون[٢٧]. فهذه الأسباب كلها أدَّت إلى عزو الأردية للمسلمين كواضعي هذه اللغة الجديدة، وإن كان الهندوس قد أسهموا في تطويرها منذ أول نشأتها[٢٨]، ولكنهم تثقفوا أولاً ـ وهم الآخرون ـ ثقافة عربية وفارسية[٢٩].

٢٥- ڈاکٹر تاراچند، **تمدنِ ہند پر اسلامی اثرات**، ص ٦٣.

٢٦- شیخ محمد اکرام، **آبِ کوثر**، ص ٤٦٨؛ ڈاکٹر شوکت سبزواری، **داستانِ زبانِ اردو**، انجمن ترقیِ اردو پاکستان، کراتشي، ط ٢، ١٩٨٧م، ص٤٢.

٢٧- انظر للتفصيل: سمير عبد الحميد إبراهيم، **الألفاظ العربية في اللغة الأردية**، المكتبة العلمية، لاهور، ١٩٩١م، إنعام الحق غازي، **الاقتراض اللغوي من العربية إلى الأردية**، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، ١٩٨٧م؛ إكرام الحق ياسين، **الكلمات العربية في أدب دبتي نذير أحمد**، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، ١٩٩١م.

٢٨- انظر لذلك: قاضی ظہور الحسن ناظم سیوہاروی، **اردو زبان اور ہندو**، کتاب منزل، لاهور، بدون سنة؛ عبد السلام خورشید، **اردو کے ہندو شعراء کی دفتر تحریک رفاقت پنجاب**، لاهور، ١٩٤٦ء؛ ڈاکٹر وفا راشدی، **اردو کی ترقی میں بنگال کے ہندوؤں کا کردار**، مجلة **خدا بخش لائبریری جرنل**، الصادرة في بطنة (پٹنہ)، الهند، ع ١١٦، يونيو ١٩٩٩م، ص٣٧-٦٨. **داستانِ زبانِ اردو**، انجمن ترقیِ اردو پاکستان، کراچی، ط٢، ١٩٨٧م، ص ٤٢.

٢٩- ويدل على ذلك ما نجد في دواوين الشعراء الهندوس من الابتداء بالحمد لله تعالى، ثم الـ: **نعت** وهو مدح الرسول عليه السلام. وهذه كانت ـ ولا تزال ـ طريقة متبعة عند الشعراء المسلمين في شبه القارة الهندية في إخراج دواوينهم. وقد جمعت السيدة "**فرزانہ ماجد**" بعض ما أنتجته قرائح الشعراء الهنادكة في هذا الصدد من مدائح نبوية في كُتَيِّب بعنوان: **نعتِ رسول بزبانِ غیر مسلمان**، أي مدح الرسول على لسان غير المسلمين. منشور من قبل **ماہنامہ انتظار پبلشرز**، إسلام آباد، ١٩٩٧م. =

التأثير العربي في اللغة والأدب الأرديين:

وهنا يحسن بنا الإشارة إلى أن العلماء المسلمين الأوائل في شبه القارة الهندية قد زوَّدوا الأردية - لما كانت قد خرجت من طور نشأتها البدائية ـ بالمفردات والتعبيرات العربية والفارسية بشكلٍ أن انطبعت اللغة الأردية بطابع خاصٍّ يتذوقه الأدباء حتى الآن، إلى أن استقلَّت بنفسها واستوى عودها كلغة متميزة لها كينونة ثابتة وشخصية مستقلة، فعادت إلى الأخذ من لغات أخرى كثيرة(٣٠). وهاك نموذجاً لما يهمنا فيما نحن بصدد الحديث عنه من تعبيرات لغوية عربية استخدموها في الأردية، فأدَّت إلى دورها في تطويرها، فمنها:(٣١)

= ومن الأعلام الهندوس الذين ألموا بالعربية وآدابها: *بھارت چندرائے گناکار* (فـ: ١٧٦٠م)، ڈاکٹر وفا راشدی، **اردو کی ترقی میں بنگال کے ہندوؤں کا کردار**، مجلة **خدا بخش لائبریری جرنل**، ع ١١٦، ص ٤٨؛ *مہاراجہ بہادر جگت نرائن گھوشال* (فـ: ١٨٢١م) المرجع السابق، ص ٤٨؛ *جگت گوپال ترکالنکا* (فـ: ١٨٢٣م)، المرجع السابق، ص٥١؛ *راجہ رام موہن رائے* (فـ: ١٨٣٤م) المرجع السابق، ص ٤٥ و٤٧؛ *منشی گوبند لال* (من رجال القرن التاسع عشر)، جميل أحمد، **حركة التأليف باللغة العربية في الإقليم الشمالي الهندي في القرنين الثامن والتاسع عشر الميلادي**، ص ٢٢٤؛ *منشی دیبی پرشاد بدایونی* (من رجال القرن التاسع عشر)، *منشی دیبی پرشاد*، **معیار البلاغت**، مطبع نامی نول کشور، لکھنو، ط ٣، ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٦م، ص ٢؛ *پنڈت برج موہن دتاتریہ کیفی* (فـ: ١٩٥٤م)، *پنڈت برج موہن دتاتریہ کیفی*، **منشورات**، دیال پرنٹنگ پریس، دلهي، ط ٣، ١٩٤٥م، ص٣٤، ٥١، ٦٠ و٨٩؛ *مالک رام* (فـ: ١٩٩٣م)، *ابوالکلام آزد*، **غبارِ خاطر**، تعليق الحواشي: *مالک رام*، مكتبہ رشيديہ، لاهور، ١٩٩٩م، ص ٣٦٥-٥١٦؛ *پروفیسر بیرالال چوپڑا* (من رجال القرن العشرين)، ڈاکٹر وفا راشدی، **اردو کی ترقی میں بنگال کے ہندوؤں کا کردار**، مجلة **خدا بخش لائبریری جرنل**، ع ١١٦، ص ٦٢؛ وانظر للآخرين من علماء العربية الهندوس: الأستاذ رام لال النابوي (ناجوی)، **اهتمام الهندوس باللغة العربية**، ترجمة عربية: عرفات ظفر، مجلة **ثقافة الهند** العربية الصادرة في دلهي الجديدة، ٢٠٠٩م، ج ٦٠، ع ٤، ص ٢٦-٣٥. وانظر لتمهر الهندوس في اللغة والآدب الفارسية: *ڈاکٹر سید عبداللہ*، **ادبیاتِ فارسی میں ہندوؤں کا حصہ**، مجلس ترقی ادب، لاهور، ١٩٦٧م.

٣٠- وفي هذا الصدد أمدَّها الاستعمار الإنجليزي بنسيج لغوي وتعبيري جديد، مع ذلك فإنها لم تنصرف عن نزعتها العربية والفارسية، إلا أنها رحَّبت لهذا الجديد صدرها أيضاً. أما الآن فقد تغيرت الأوضاع كثيراً، ولم يبق للقديم كبيرُ أثرٍ على الحديث المتجدد المتماشي مع التطور الزمني، خاصةً في الأوساط الصحفية والإذاعية. فاللغة الأردية الإعلامية ـ كمعظم اللغات الشرقية الأخرى ـ قد انحازت إلى التيار الدُّوَلي الذي هو عبارة عن سيادة اللغة الإنجليزية في أكثر الأحيان.

٣١- *مرتضی حسین لکھنوی* ـ *سید قائم رضا نسیم امروہوی*- *محمد باقر آغا*، **نسیم اللغات** (معجم أردي ـ أردي)، شیخ غلام علی اینڈ سنز، لاهور، ط٩، ١٩٨٩م؛ *شان الحق حقی*، **فرہنگِ تلفُّظ** (معجم أردي ـ أردي)، مقتدره قومی زبان، إسلام آباد، ٢٠٠٢م، تحت المواد المذكورة.

ماشاءالله: ويُستعمل للتقدير والإعجاب وللثناء على أحد، كما قد يُستخدم بلاغيّاً في موطن الطعن والتعريض.

لاحول ولاقوة: ويُستعمل لإظهار البراءة والكراهية والاستنكار.

لايموت ولايزال: الذي ليس له فناء، أي سبحانه جل وعلا.

مابعد: فيما بعد؛ بعد ذلك.

مابه الامتياز: والفارق أو الميزة الخاصة بشيء.

مابه النزاع: ومبعث الخصومة.

الأقارب كالعقارب: ويُستعمل في موضع تلقي المكروه من الأقرباء استياءً منهم.

ماحضر: والطعام الموجود.

مافي الضمير: وما في نفس أحد.

مالايُطاق: وما لا قِبَل به.

ماقلَّ ودلَّ: وما قلَّت ألفاظه وكثر مغزاه.

نعوذ بالله؛ عياذاً بالله: ويُستعمل في موضع الكراهية والنفور من شيء، كما يُستخدم لطلب مغفرة الله عند مسٍّ بكرامة شعيرة أو شخصية دينية محترمة بسوء.

العطش: واستعماله للتعبير عن الشعور بشدة العطش.

فاعتبروا يا أولى الأبصار: آية قرآنية [الحشر ٥٩: ٢] تُستعمل في موطن التحريض على الاتعاظ بشيءٍ مَّا.

فاتحه پڑھنا: (أي قراءة الفاتحة) وذلك على الميت، وقد يُستعمل في محل اليأس والقنوط.

في امان الله: واستعماله للتوديع.

الإنتظار أشدُّ من الموت: ومعاناة الانتظار أكبر من شدة الاحتضار.

في النار والسقر ہو جانا: (أي الدخول في جهنم) ويُستعمل في العدو دعاءً عليه أو بياناً لحاله؛ وقد يُعبَّر بذلك عن التورط في المشقة والعناء.

ماخوذ ہونا/ کرنا: (أي الأخذ) وهو القبض على أحد والمحاسبة له.

كذلك "النادر كالمعدوم" و"لاتُعَد ولا تُحصَى" و"المرء يقيس على نفسه" و"المعنى في بطن الشاعر" و"مضَى ما مضَى" و"المنة لله" و"أدام الله إقباله" و"قُدِّسَ سره"... إلخ.

فهناك الكثير من هذه التعبيرات العربية التي استعملها الناطقون بالأردية، ولا زالوا يستخدمون جزءاً كبيراً منها نطقاً وكتابة. وقد جمعها أصحاب المعاجم حسب الموادِّ المتوفرة لدى كلِّ واحد منهم أو حسب نوعها(٣٢). ويجب أن يُوضع في الاعتبار أنَّ عدداً متوافراً من تعابير القرآن وحديث الرسول قد غذَّت الأرديةَ في هذا الصدد وأَثْرَتْ ثروتها التعبيرية والأسلوبية على نطاق واسع كما رأينا وكما سنرى(٣٣).

ثم هناك طائفة أخرى من هذه التعبيرات والمصطلحات العربية التي حصل فيها التداخل اللغوي فتغيَّر مدلولها بالأردية، أو تأرَّد شكلها بحسب النطق بها أو استعمالها عند الأردويين، نحو(٣٤):

صُمٌّ بُكْمٌ: أي الذي لم يَنْبِسْ ببنت شفة أو لم يُجِرْ جواباً كأنَّ على رأسه الطيرَ، مأخوذاً من قوله تعالى: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ (سورة البقرة، الآية: ٨١).

اِلّذی نہ اُلّذی: أي المتردد بين هذا وذاك فيقدِّم رِجْلاً ويؤخِّر أخرى، وهو كذلك مستمَدٌّ في معناه من قوله تعالى: ﴿لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ (سورة النساء، الآية: ١٤٣).

وهناك طائفة ثالثة من الاصطلاحات والتعبيرات الدينية والفنية القديمة التي استقرَّت على معانيها المحترمة ولم تتغير، وقد رُسِمَتْ بعضها على حسب الإملاء العربي القديم كذلك، نحو: "اِقامۃ الصلوٰۃ" و"اِیتاء الزکوٰۃ" و" تلاوۃ القرآن" و"روایۃ الحدیث" و"مخرج الاَصوات" و"مراقبۃ الصوفی" و"القیاس مع الفارق"... إلخ.

٣٢- ويمكن أن يُنظر في هذا الصدد المعاجم التي أُلِّفت في الأمثال نحو: وارث سرہندی، **جامع الاَمثال**، مراجعة: شان الحق حقی، مقتدرہ قومی زبان، إسلام آباد، ١٩٨٦م؛ شاہ حسین حقیقت، **خزینۃ الاَمثال**، مقتدرہ قومی زبان، إسلام آباد، ١٩٨٦م؛ وبالأخص: مقبول الٰہی، **اردو میں مستعمل عربی وفارسی ضرب الاَمثال**، مقتدرہ قومی زبان، إسلام آباد ، ١٩٩٦م. وهناك معجم آخر بعنوان: **فرہنگِ عامرہ** أدرج فيه واضعه "محمد عبد الله خان خویشگی" حوالي أربعين ألفاً من الألفاظ العربية والفارسية والتركية المستعملة في اللغة الأردية بالدلالة على أصل كل كلمة، وقد صدر في طبعته الأخيرة سنة ١٩٨٩م عن المجمع اللغوي الأردي (مقتدرہ قومی زبان) نفسه بإسلام آباد.

٣٣- انظر لذلك خاصةً: ڈاکٹر غلام مصطفیٰ خان، **اردو میں قرآن اور حدیث کے محاورات**، ادارۂ تحقیقاتِ اسلامی، بین الاقوامی اسلامی یونیورسٹی، إسلام آباد، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٣٤- شان الحق حقی، **فرہنگِ تلفُّظ**، تحت الموادِّ المذكورة.

ولسوف يظهر الأمر بوضوح فيما يتعلق بتأثير العربية في الأردية من حيث التعبير اللغوي وما سنذكر عنه من أجناس أدبية وما يتصل بها من فنون ـ إذا عرفنا أن الشعراء والكتَّاب باللغة الأردية إنما كانوا على معرفة تامَّة بالعربية والفارسية حتى العهد المتأخر ما قبل المُحْدَثين. أما المحدثون فمعظمهم يعرفون الفارسية التي أدَّت في كثير من الأحيان دور الوسيط بين اللغتين. (وسيأتي الكلام عليه بعد قليل). وأما ما قيل مثلاً عن بعض الشعراء المتأخرين ـ وهو الميرزا أسد الله خان غالب/ *مرزا اسد اللہ خان غالب* (فـ: ١٨٦٩م) ـ بأنه لم يكن ملماً بالعربية، فسرُّ ذلك القول أنه لم يُكْمِلْ دراسته في اللغة العربية وآدابها حتى التخرج، وإن كان قد درس جيداً على الأستاذ ما كفى مثلَ ذلك الرجل من أساسيات هذه اللغة ليواصل القراءة بنفسه في المؤلفات العربية(٣٥).

إذن فلا غرو إذا اقتبسوا في كتاباتهم من النصوص العربية، أو لَمَّحوا إلى شخصيات الأدب العربي وظواهره المختلفة. فلْنَقْرَأْ مثلاً هذا البيت من تمهيد افتخاري في قصيدة لـ: "أمير الله تسليم الكاتب/ *منشی امیر اللہ تسلیم* (فـ: ١٣٢٩هـ/ ١٩١٨م) مدح بها الأمير واجد علي شاه/ *نوّاب واجد علی شاہ* (فـ:١٨٨٧م)، حاكم إمارة "أَوَدْ/ *اَودھ*" وقتئذ:(٣٦) [من الرمل]

بسکہ ہوں فیضِ نسیمِ دہلوی سے کامیاب گنگ ہے آگے مرے سحبانِ وائل کی زبان

"إنِّي ـ بما أفاض به عليَّ الشيخ نسيم الدهلوي: أستاذ الشاعر من علمه وفضله ـ قد وُفِّقْتُ إلى أن (أبلغ من الفصاحة والبلاغة حدّاً حيث) أرى (خطيباً مصقعاً مثل) سحبان وائل(٣٧) قد وقف ساكتاً عند خطابتي منعقد اللسان".

ومن الشعراء الأردويين المعاصرين عبد العزيز خالد (فـ: ٢٠١٠م) قرض القصيدة في مدح

٣٥- *حافظ جلال الدین احمد جعفری* (اختيار وتقديم)، ***تاریخ قصائدِ اردو***، *ادارۂ شرکتِ مصنفین*، كراتشي، بدون سنة، ص ٥٥.

٣٦- المرجع السابق، ص ١٥١.

٣٧- هو سَحْبانُ بنُ زُفَرَ بنِ إياس الوائلي من باهلة (فـ: ٥٤هـ/ ٦٧٤م) من أشهر وأبلغ خطباء العرب، ومن المعمَّرين كذلك. وُلد في الجاهلية، وأسلم في زمن النبي من غير الاجتماع به، والتحق بمعاويةَ بنِ أبي سفيان حين وَلِيَ الشام. كان طويل النَّفَس في خطابته قصير الجمل، يميل إلى الوعظ متأثراً بالقرآن والحديث النبوي في تعبيراتهما. ضُرب به المثل في الفصاحة والبيان والمقدرة على الخطابة، فقيل: "أخطب من سحبان"، كما سُمِّي "خطيب العرب". انظر: *ڈاکٹر عبد الحلیم ندوی*، ***عربی ادب کی تاریخ***، *ترقی اردو بیورو*، دلهي الجديدة، ١٩٨٩م، ج ٣، ص ٩٣-٩٧؛ عمر فَرُّوخ، **تاريخ الأدب العربي**، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٨٤م، ج١، ص٣٩١-٣٩٢؛ أحمد زكي صفوت، **جمهرة خطب العرب**، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م، ج ٢، ص٤٨٢.

الشاعر الكبير الميرزا غالب (المذكور عنه أعلاه) ويقول فيه:(٣٨)[من الرمل]

سجده شعر سے واقف ہوں فرزدق کی طرح　　میں کہ غوّاص ہوں بحرِ سُخَن و حکمت کا

"إنِّي لمن العارفين بسجود الشعر الواقفين عليها كالفَرَزْدَق(٣٩)، إذ لم أترك بحراً من الشعر والحكمة دون الغوص فيه (والخروج منه بما يحوي في بطنه من درر)".

فسحبان وائل والفرزدق لم يتسنَّ ورود ذكرهما عند الشاعرين بهذه الصورة الحضارية العميقة إلا لكونهما ملمَّين بالأدب العربي القديم إلماماً فرض عليهما التأثر به بشكل أن عَلِقَتْ هذه المعلومات الثقافية بالذهن ودخلت من خلاله نسيج فكرهما، ومن هنا تسرَّبت إلى ما أنتجا في لغتهما من شعر.

هذا، وأول شاعر في شبه القارة الهندية ذُكر له ديوان في الهندوية (أي الأردية البدائية التي دعوها الـ: "ريختہ" كذلك) - وهو مسعودُ بْنُ سعدِ بنِ سلمان اللاهوري (فـ: ٥١٥هـ/ ١١٢١م أو ٥٢٥هـ/ ١١٣١م) ـ فإنه كان من الشعراء المجيدين بالعربية(٤٠) والفارسية في المحل الأول. فهو أول من كان "له ثلاثة دواوين في العربية والفارسية والهندوية"(٤١). وذلك ما صرَّح به محمد عوفي في **لباب الالباب** بقوله:(٤٢)

"او را سه دیوان است: یکی بتازی، ویکی بپارسی، ویکی بهندوی".

٣٨- مجلة **اوراق** الصادرة في لاهور، عدد سنوي خاص، فيبراير ـ مارس، ١٩٨١م، ص ٢١.

٣٩- رُوي أن الفرزدق (فـ: ١١٠هـ/ ٧٢٨م) حينما سمع البيت التاليَ من معلقة لبيد سجد، فسألوه: لِمَ سجدت؟ فقال: أنتم أعلم بسجود القرآن، وأنا أعلم بسجود الشعر! والبيت هو: [من الكامل]

وجلا السيول عن الطلول، كأنَّها　　زبرٌ تُجِدُّ متونَها أقلامُها

انظر: محمد إسماعيل السلفي، **شرح المعلقات السبع**، دار نشر الكتب الإسلامية، لاهور، ط١، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص ١٦٤.

٤٠- ومن شعر مسعود بالعربية ما يُتمثَّل به للإيهام أو التورية من محسِّنات البديع المعنوية قوله: [من الطويل]

وليلٍ كأن الشَّمس ضلَّت ممرَّها　　وليس لها نحو المشارق مرجعُ
نظرتُ إليها، والظَّلام كأنَّه　　على العين غربانٌ من الجوِّ وُقَّعُ
فقلت لقلبي: طال ليلي وليس لي　　من الهمِّ منجاةٌ، وفي الصبر مفزعُ
أرى ذَنَب السِّرحان في الجوِّ ساطعاً　　فهل ممكنٌ أن الغزالة تطلعُ

جميل أحمد، **حركة التأليف باللغة العربية في الإقليم الشمالي الهندي في القرنين الثامن والتاسع عشر الميلادي**، ص٥١.

٤١- هي ترجمة للنص الفارسي الآتي المقتبَس من **لباب الالباب**، وقد أتينا بها مقدَّماً تمشيةً للسياق بحيث لم نكرِّرها ثانيةً.

٤٢- محمد عوفي، **لباب الالباب**، تصحيح وتعليق سعيد نفيسي، كتابفروشي ابن سينا، تهران، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م، ص ٤٢٣.

كما أشار إلى ذلك ـ قبل صاحب اللباب ـ أمير خسرو الدهلوي (فـ: ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م) معترفاً بفضل مسعود سلمان بحيث كون الأخير سابقا للأول في هذا المضمار(٤٣).

ومن الأمور المسلَّم بها عند الباحثين أن الشعر الأردي مبنيٌّ على الشعر العربي في هيكله وفي عدد من معانيه، وقد تأتَّى حصول ذلك عن طريق الشعر الفارسي. وهذا ما وضَّحه الطاف حسين حالي ـ الشاعر وأكبر النُّقَّاد الأوائل بالأردية (فـ: ١٩١٣م) ـ قائلاً ما معناه:(٤٤)

"إنه قد تأسَّس الشعر الأردي على مَبْنَى الشعر الفارسي الذي هو مأخوذٌ بنيانُه من الشعر العربي".

تأثر الفنون الأدبية الفارسية بالعربية وتوسطها للأردية:

أما الشعر الفارسي فكان نسخة طبق الأصل العربي في بداية تطوره حتى العهد المتأخر. فمن يَقْرَأْ قصائد الشعراء الفرس عند ذلك، يَلْمُسِ الأثر العربي واضحاً في هذا الإنتاج الشعري الفارسي. فعروضه هو عين العروض العربي، إلا أن الفرس اختلفوا في عدد الأركان أو التفاعيل في أوزان معظم البحور، كما اختلفوا بعدئذ في شيوع بعض هذه البحور عندهم أكثر. هذا بالإضافة إلى ما اخترعوا من زحافات، ثم دوائر وبحور جديدة استخرجوها حسبما لاحظوا في العروض العربي من قواعد(٤٥). ومع أن هناك بحوثاً أُجريت في الآونة الأخيرة لإثبات دعوى أن العروض الفارسي له جذور في التقليد الهندو ـ أوربِّي(٤٦)، لكنها محاولات اعتمدت في مجملها على طبيعة اللغة الفارسية والظواهر العروضية الشائعة فيها.

٤٣- ونص كلامه الذي ينم على الاعتراف على الرغم منه: "*پیش ازین از شاهانِ سخن کسی را سه دیوان نبوده، مگر مراسه خسرو کلامم، مسعود سعد سلمان را اگرچه است*". (ليس لأحد من ملوك الشعر ثلاثة دواوين قبل هذا في العربية والفارسية والهندوية (الـ: "*ریخته*") إلا لنفسي أنا الذي أتبوَّأ مكانة ملك ملوك الكلام، وإن كان هناك مسعود سعد سلمان [يسبقني إلى ذلك]). امير خسرو دهلوی، **دیباچۂ دیوانِ غرة الکمال**، مطبع قیصریہ، دلهي، ط١، بدون سنة، ص ٦.

٤٤- *خواجہ الطاف حسین حالی*، **مقدمۂ شعر وشاعری**، پاپولر پبلشنگ هاؤس، لاهور، ١٩٨٩م، ص ١٢٤.

٤٥- انظر لذلك: ڈاکٹر محمد اسلم ضیاء، **علم عروض اور اردو شاعری**، مقتدره قومی زبان، إسلام آباد، ط ١، ١٩٩٧م، ص ٣٨-٥١؛ آغا صادق، **نکاتِ فن**، انسٹی ٹیوٹ آف تھرڈ ورلڈ آرٹ اینڈ لٹریچر، لندن، ط١، ١٩٨٩م، ص ٦٧-٦٩؛ عبد الوهاب عزام، "أوزان الشعر وقوافيه في العربية والفارسية والتركية"، مجلة **كلية الآداب**، جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ج ١، الجزء الثاني [كذا]، ديسمبر ١٩٣٣م، ص ٤٣-٥٨.

٤٦- *دکتر پرویز ناتل خانلری*، **وزنِ شعر فارسی**، *انتشاراتِ توس، تهران*، ط ٦، ١٣٧٣ شمسية هجرية، الفصل الثالث من الباب الأول خاصةً.

هذا، وقد توارث الأردويون هذا الشعر العربي بطابعه الفارسي وألبسوه شعرهم بعد أن جعلوه مناسباً لطبائعهم كذلك. وعلى الرغم من إفادتهم مما كان لديهم من تقليد العروض الهندي الخاص المعروف باسم "فِنْغَل/ پنگل" أو "شَنْد/ چھند" وبعض التقليدات العروضية المحلية الأخرى، فإن الطابع العربي بقي هو المهيمن على كل ما في الشعر الأردي من ظواهر عروضية مختلفة. فنرى العروضين العربي والأردي يتفقان(٤٧) في نظام الدوائر وأسماء البحور، ثم الزحافات وقواعد التقطيع وكل ما إلى ذلك(٤٨).

أما فيما يتعلق بهيئة القصيدة الفارسية أو شكلها من حيث التقسيم في المعاني، فكانوا يبدأون قصائدهم بالغزل على طريقة الشعراء العرب، بل وقد استهلوها بالوقوف على الأطلال وديار الحبيب الدارسة كدأب من قلَّدوهم في ذلك. فهذا لامعي الجرجاني (فـ: حوالي ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م) يبدأ قصيدته ببيت نسمع فيه صدًى لما كان يستهلُّ به العرب قصائدهم من الوقوف والاستنطاق، فقال:(٤٩) [من الرجز]

هست این دیار یار، اگر شاید فرو آرم جمل پرسم رباب و دعد را حال از رسوم و از طلل

"هذه هي ديار الحبيب (قد وُصل إليها)، فمن الجدير بي أن أنيخ جملي (فأنزل بها) أسائل الأطلال والرسوم عن رباب وعن دعد".

فنلاحظ أن الشاعر الفارسي قد وظَّف اسمين من الأسماء العربية المعروفة للحبائب: "رباب، ودعد"، كما استخدم بعض الكلمات العربية الخاصة المذكورة في مثل هذا الموطن: "رسوم، وطلل".

٤٧- انظر حول اتفاق العروضين وبعض ما بينهما من اختلاف: محمد بشير، **العروض بين العربية والأردية**، رسالة مقدمَّة لنيل درجة الماجستير في كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، ١٩٩٢م؛ محمد موسى الروحاني البازي، **حاشية محيط الدائرة**، مكتبة إمداديه، ملتان، بدون سنة؛ **نجم الغنی رامپوری**، **بحر الفصاحت**، مقبول اکیڈمی، لاهور، ١٩٨٩م.

٤٨- وقد حاول بعض العروضيين الأردويين أن يستخلصوا قواعد العروض الأردي بالتساير مع الواقع الشعري المَعِيْش تبنِّياً للاتجاهات العروضية المحلية، متجنِّبين في ذلك الإغراق في إطلاق وتطبيق الزحافات والمصطلحات العروضية العربية والفارسية تيسيراً لقواعد العروض كما فعل الدكتور "غيان تشاند/ گیان چند جین" الذي ألَّف في العروض الأردي كتاباً بعنوان: **اردو کا اپنا عروض**، أي العروض الأردي الخالص، ونُشر أخيراً من قبل مغربی پاکستان اردو اکیڈمی، لاهور، ١٩٩١م.

٤٩- شبلی نعمانی، **شعر العجم**، المكتبة العلمية، لاهور، ط ٣ (معادة من طبعة دار المصنفين، أعظم گڑھ)، بدون سنة، ج ٤، ص١٢١؛ Dr. Umar Muhammad Daudpota, *Influence of Arabic Poetry on the Development of Persian Poetry*, Hyderabad, ١٩٨٨ (reprint of ١st ed. ١٩٣٤), p ٥٠.

ونمثِّل في هذا الصدد بمثال آخر للشاعر مُعِزِّي النيسابوري (فـ: ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م) الذي يقول في مطلع قصيدته التي مدح بها السلطان شرف الدين سعدَ بْنَ عليٍّ المستوفي:(٥٠) [من الرجز]

ای ساربان، منزل مکن جز در دیارِ یارِ من تا یک زمان زاری کنم بر ربع و اطلال و دمن

"ألا أيها السائقُ الراحلةِ، لا تنزل إلا بديار حبيبي (الدارسة)، فأسكب الدموع (هنالك) ساعةً على تلك الربوع والأطلال والدِّمَن".

وهنا تجدر الإشارة إلى أن البيت يبدو ترجمةً حرَّة لمطلع معلقة امرئ القيس الشهير، كما نلحظ به أيضاً من كلمات: "ديار، وربع، وأطلال، ودِمَن".(٥١)

أما القصيدة الأردية فلم تذهب في تأثرها بالعربية إلى حدِّ النسخ منذ بدايتها الأولى، لأنها أُخذت ثمرةً يانعة من الفارسية في شعرها المتطور، إلا أنها قلَّدت في الابتداء بالتشبيب الذي تراوحت معانيه بالفارسية من الغزل إلى وصف الربيع إلى غير ذلك من المواضيع المناسبة للاستهلال. فالشعراء الأردويون اتَّبعوا الفرس في هذه الأغراض لابتداء القصيدة(٥٢). وأما التخلص والانتهاء (أو المقطع) فقد

٥٠- ***دیوانِ امیر معزی***، تحقيق: *عباس اقبال*، *کتابفروشیِ اسلامیه*، *تهران*، ١٣١٨ شمسية هجرية، ص ٥٩٧.

٥١- وللتفصيل حول هذا الموضوع. انظر: **شبلی نعمانی**، ***شعر العجم***، ج ٤، ص ١١٤-١٢٦؛ Dr. Umar Muhammad Daudpota, *Influence of Arabic Poetry on the Development of Persian Poetry*, Chapter III, IV & V.

٥٢- وقد انفصل هذا الابتداء بالتشبيب أو المقدِّمة الغزلية عن القصيدة باقياً على اسمه كغزل، وأصبح فنّاً مستقلاً في الأدب الفارسي مغايراً للقصيدة على يد الشاعر الفارسي المتصوف "***سنائی غزنوی***" (فـ: ٥٤٥هـ/ ١١٥٠م). ثم انتقل من الفارسية إلى الأردية بهذه الهوية المستقلة جنباً إلى جنب مع فن القصيدة الذي لم يواكب الأول على مرِّ العصور. وفي هذا الـ: "*غزل*" الفارسي والأردي يصف الشاعر أحوال وتقلُّبات النفس وتصرُّفاتها المختلفة مما يجري بين حبيبين من شتَّى نوازع الحب وهواجسه وأشجانه بصورةٍ تبعث على التعاطف معه في الغالب الكثير كما هو معهود في الشعر العربي. لكن الشاعر الفارسي فالأردي لم يقتصر في هذا الـ: "*غزل*" المستقلِّ على بيان الحب وذكر الحبيب وما يطرأ على المحبَّيْن من أحوال، وإنما تعدَّى ذلك إلى أن يبثَّ فيه همومه الاجتماعية وما يقلق منه ويحزن عليه من أوضاع مضطربة فاسدة، وكذلك ما يكتئب من أجله مما يَجِدُ له في قلبه المهموم من غوائل الدهر الخائن، إضافةً إلى ما يرمي إليه من تسجيل خواطرَ مبهجة منعشة، والتعبير عما يعجبه ويروقه من أمور، وعلاوةً على الافتخار بنفسه والإشادة بذكر يُكِنُّ التقدير له من أشخاص؛ مزاوجاً بين ذلك كله وبين ما ينتزعه من تغزُّله المحض من رموز ودلالات يُسْقِطُها على ما يقصده من أمور وتجارب الحياة الكثيرة، مستخدماً من أجله الأساليبَ المختلفة المتنوعة. كذلك ينطوي الـ: "*غزل*" على أفكار روحية صوفية من خلال ما يُسمَّى بـ: "شعر الحب الإلهي" وما يُدعى في النقد العربي بـ: "الغزل الديني" كذلك، كما يتعرض لأَخْيِلَةٍ فلسفية بحتة تشمل قضايا إنسانيةً مشتركة تتعلق بمنشأ الكون ومصير الإنسان فيه.

أفاد الفرس في طريقة عرضها وكيفية حسنها وبراعتها من العربية كذلك، والأردويون احْتَذَوْا بهؤلاء في ذلك أيضاً(٥٣).

وليس من نافلة القول أن نلمِّح في هذا المكان إلى أن الأمر كذلك بالنسبة لأخذ الكثير من التلميحات التي نجدها عند الشعراء الأردويين، والتي لها صلة بالحوادث والوقائع التي تضمَّنتها كتب التراث العربي، نحو الكتب الدينية والتاريخية والأدبية، تلك الوقائع والحوادث التي وجدت طريقها إلى الشعر الفارسي الذي تأثرت الأردية في ذلك عن طريقه في الغالب الأكثر. ولا يُنكر ما لمثل هذه الأشياء من أهمية في مجال الشعر خاصةً، فقد استلهموا منها معانيَ جديدةً مبتدَعة، كما استخدموها في أغراض

هذا، وأما فيما يتعلق بهيئة الـ: "*غزل*" أو شكله كفنٍّ شعريٍّ معين، فإنه يتكوَّن من خمسة أبيات على أقلِّ تقدير، ولا يتجاوز عددها خمسةَ أو سبعةَ عشر بيتاً على العموم، وإن كان هناك من القدماء ـ ومن ينزع منزعهم ـ من تطول غزلياتهم أكثر. ثم إنه لا يوجد هناك ما يُسمَّى "الوحدةَ العضوية" (Organic Unity) لتربط فيما بين أبيات "*غزل*" واحد. على ذلك فلكل بيت منه معنًى أو مضمونٌ مستقلٌّ يجعله مكتفياً بنفسه، وبالتالي، متَّصفاً بالإيجاز بمعنى الكلمة. وقد يوجد في مجموعة بيتين فأكثر داخل الـ: "*غزل*" نوعٌ من التآلف على أساس الوحدة الفكرية، وتُسمَّى "*قطعہ*" أو "*قطعہ بند*" بالأحرى. فالـ: "*غزل*" إذن لا يجمع بين أبياتها القليلة أو الكثيرة إلا الوزن والقافية، ثم الـ: "*ردیف*" على العموم. ويلتزم الشاعر بالتصريع في مطلع غزله، وإلا فلا يُدعى "*مطلع*"، كما أنه قد جرت العادة بأن يُذكر الـ: "*تخلُّص*" في البيت الأخير الذي يُسمَّى "*مقطع*" عند ذلك.

وأما الـ: "*تخلُّص*"، بهذه المناسبة، فهو مصطلح لا يمُتُّ هنا بصلة إلى الاصطلاح الشعري المعروف في القصيدة (والذي قد يُسمَّى "خروجاً" في النقد العربي القديم)، وإنما أُطلق على ما يختاره الشاعر من اسمٍ ـ عدا اسمه الحقيقي، أو كنيته، أو لقبه ـ يأتي به في شعره، خاصةً في أواخر أبيات القصائد والـ: "*غزلیات*". وقد يكون جزءاً من اسمه، وإلا فيصبح منه. ولم تجر به العادة إلا في الشعر الفارسي، ومنه جاء إلى الأردية. وبإمكاننا أن نطلق عليه "اللقب الشعري" على حدِّ تعبير الدكتور جميل أحمد، ولكنه لا يوحي بالمعنى بالضبط، كما قد تشبهه في اللغات الأوربِّية مصطلحات: "pseudonym" و"nom de plume" و "nom de guerre" و "anonym" و"pen-name"، لكنها ليست الـ: "*تخلُّص*"، كما تعرفه الأردية والفارسية، وإنما تعني فقط الاسمَ القلمي أو المستعار الذي يتخذه الكاتب لدى نشر كتاباته بدلاً عن اسمه الحقيقي.

طارق هاشمی، ***اردو غزل ـ نئی تشکیل***، *نیشنل بک فاؤنڈیشن*، إسلام آباد، ط١، ٢٠٠٨م، ص ١٨-٢٣؛ جميل أحمد، **حركة التأليف باللغة العربية في الإقليم الشمالي الهندي في القرنين الثامن والتاسع عشر الميلادي**، ص ١٣١؛ *انور جمال*، ***ادبی اصطلاحات***، *نیشنل بک فاؤنڈیشن*، إسلام آباد، ط١، ١٩٩٣م، تحت مواد: غزل، قطعه، مطلع، مقطع، تخلص؛ *The Concise Oxford Dictionary*، تحت المواد المذكورة.

٥٣- *حافظ جلال الدین احمد جعفری*، ***تاریخ قصائدِ اردو***، ص ١٧-٢٠.

وإيحاءاتٍ مختلفة كثيرة. فمن هذه التلميحات التي كانوا قد أسقطوها على مواقف شتَّى بها قصدوا من طرح المعاني بصورةٍ مبتكَرة طريفة:(٥٤)

صحرائے نجد: أي صحراء نجد، وفي ذلك إشارة إلى قصة حب شهيرة جرت بين المجنون قيس (فـ: حوالي ٦٨هـ/ ٦٨٨م) وليلى العامرية.

حرفِ کُن: أي كلمة "كن" فعل الأمر من "كان"، وفيه إشارة إلى ما ورد في القرآن من بيان عن قدرة الله عزوجل حيث قال تعالى: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ (سورة البقرة، الآية: ١١٧).

کوہِ طور: أي جبل الطور الذي أُعطيت به النبوة لموسى عليه السلام.

یومِ الست: أي اليوم الذي قال فيه سبحانه وتعالى للأرواح: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ (سورة الأعراف، الآية: ١٧٢).

اعجازِ مسیحائی: أي معجزات النبي عيسى عليه السلام.

كما سبقت الإشارة إلى "*سحابِ وائل*" موظَّفاً في بيتٍ من الشعر لأحد شعراء الأردية المتأخرين هو أمير الله تسليم، و"*سجدۂ شعر*" موظَّفاً في بيت شعرٍ لشاعر من العصر الحاضر عبد العزيز خالد، وإن كان مثل هذين التلميحين الأخيرين قد نَدَرَ وجوده في الوقت الراهن إلا عند الشعراء العلماء المتمكنين.

الأثر العربي في قواعد الأردية:

هذا والأهم من ذلك كلِّه تأثير قواعد اللغة العربية في المصطلح القواعدي الأردي وكثيرٍ من التطبيقات. فقد استمدَّ علماء اللغة الأردية في تشكيل قواعد لغتهم من النموذج الفارسي الذي طبعته العربية بطابع لا يُمحى من قواعدها. وربما استفادوا من العربية مباشرةً، ولكنه ما أمكنني التبيُّن من كيفية هذا التأثر بكلٍّ من العربية والفارسية، إلا أن الذي وجدته بهذا الصدد عند التصفح لأوائل الكتب التي أُلِّفت في مجال قواعد اللغة الأردية هو أنهم أطلقوا مصطلحات النحو والصرف وطبَّقوا تعريفاتها العربية بمعظمها على الكلمة والجملة الأرديتين إطلاقاً وتطبيقاً كاملين. فهذا سيد أحمد خان (فـ: ١٩٨٩م) ألَّف في عام ١٨٣٠م كتاباً صغيراً باسم: ***قواعدِ صرف و نحوِ زبانِ اردو***(٥٥)، واستخدم فيه الاصطلاحات القواعدية

٥٤- *محمد اقبال، عطاء الرحمن عتيق*، ***تعبيرِ ادب***، *پوليمر پبلی کيشنز*، بدون سنة، لاهور، ص ٢٢-٢٣.

٥٥- منشور أخيراً من قبل *انجمنِ ترقیِ اردو پاکستان* في كراتشي عام ١٩٨٧م بتحقيق: *عبد الغفار شكيل*. وكان قد نُشر في طبعته الأولى سنة ١٨٤٢م. وهناك كتابان آخران في قواعد الأردية أُلِّفا في القرن التاسع عشر كذلك تحت تأثير القواعد العربية والفارسية، هما: ***فيض كا چشمہ*** للمولوي أحمد علي الدهلوي (عام ١٨٢٥هـ)، و ***اردو صرف و نحو*** للمولوي إمام بخش الصهبائي، عام ١٨٤٩م.

العربية بحروفها وحرفيَّتها من مثل الاسم والفعل والتعدِّي واللزوم والمصدر والأمر والنهي... إلخ، كما إنه يوجد بالكتاب مبحث حول بيان المبتدأ والخبر، ثم المضاف والمضاف إليه والشرط وجزائه، وكذلك العطف والمؤنث السماعي.

وهناك كتاب آخر بعنوان: ***مصباح القواعد*** في جزءين لمؤلِّفه المولوي فتح محمد خان الجالندري (*جالندهری*)(٥٦)، يتعرض الجزء الأول منه لعلم الصرف، وأما الثاني فيبحث في النحو. وقد حاول المؤلف فيهما التطبيق لقواعد اللغة العربية تطبيقاً كاملاً شاملاً بحيث نجد في الجزء الثاني مثلاً ـ وهو في النحو ـ الحديث عن الإضافة وما تنقسم إليه من أنواع مختلفة نحو التمليكية والتوضيحية والبيانية... إلخ، كما أورد المؤلف بياناً عن المركب الامتزاجي (أو المزجي)، ثم عن نائب الفاعل (أو ما لم يُسمَّ فاعله) والمفا عيل الخمسة، وكذلك التمييز والعدد، والبدل والمبدل منه. وقد جاء في آخر هذا الجزء بفصل كامل في الحروف يذكِّرنا بـ: **مغني اللبيب** لابن هشام (فـ: ٧٦١هـ/ ١٣٦٠م) بما ساق فيه الأخير من كلام على حروف مختلفة ـ عاملةً كانت أو هاملة ـ من حروف المعاني بنى عليها جزءاً كبيراً من كتابه.

هذه كانت بداية التأليف في قواعد اللغة الأردية. أما الآن فالوضع لا يختلف كثيراً عما كان عليه من قبلُ، فإن المصطلحات الصرفية والنحوية هي بعينها في الأردية كما في العربية بفارق الاختصار بعض الشيء والتخلي عن المصطلحات التي يمكن الاستغناء عنها بالأردية، وإخراج التفاصيل الدقيقة الأخرى التي تشعَّبت مباحثه من غير طائل، مع إدخال بعض العناصر اللغوية المحلية بحيث لم تستطع هذه الأشياء الطغيان على ما انطبعت به القواعد في الأردية من طابعٍ اصطلاحيٍّ عربيٍّ ملموس(٥٧)(٥٨).

٥٦- منشور بمطبعة *ناظم برقی پریس* في رامپور، عام ١٩٤٥م.

٥٧- انظر لتبين ما قلنا: سمير عبد الحميد إبراهيم، **القواعد الأساسية لدراسة الأردية**، **ملک بک ڈپو**، لاهور، ١٩٩١م.

٥٨- وقد لاحظ الدكتور شوكت السبزواري (فـ: ١٩٧٣م) أن قواعد اللغة الأردية إما وُضعت تحت تأثير من قواعد اللغة العربية والفارسية (على يد العلماء المسلمين في شبه القارة) أو بالتأثر من قواعد اللغة اللاتينية والإنجليزية (فيما ألَّفه المستشرقون في ذلك) بعدم وضع طبيعة اللغة الأردية في الحسبان وبغض النظر عما في تقليد اللغات الهندية المحلية من أصول ومبادئ لغوية. فقام الدكتور شوكت بنفسه بوضع قواعد اللغة الأردية وفقاً لطبيعتها الهندية المحلية، إلا أنه لم يمض في ذلك طويلاً إذ وافاه الأجل، بقي عمله ناقصاً غير شامل إلا لمبحث الاسم فقط. ونُشر هذا العمل غير التام بعنوان: ***اردو قواعد*** من قبل مكتبة أسلوب في كراتشي عام ١٩٨٢م بتقديم الباحث المحقق مشفق الخواجه وتعليق الحواشي ببراع الدكتور قدرت النقوي.

التأثير العربي في النقد الأردي:

وفي هذا الصدد أكتفي بالإشارة إلى كتابين في النقد الأردي هما: ***مقدمۂ شعر وشاعري***[٥٩] لالطاف حسين حالي (فـ: ١٩١٣م)[٦٠]، و ***معروضی تنقید***[٦١] للدكتور السيد وقار أحمد الرضوي[٦٢]. فقد استفاد المؤلِّفان في كتابيهما من النقد العربي القديم من حيث العرض والتدليل. أما فيما يتعلق بتأليف حالي فمما جاء به في كتابه من بحث في تعريف الشعر وما يتصل به من مطالب، فقد أورد ضمنه ما ساقه ابن رشيق القيرواني (فـ: ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م) في الموضوع، ووازن بينه وبين ما لـ: "ملتون" (الشاعر الإنجليزي المعروف، فـ: ١٦٧٤م) من بيان في هذا الصدد[٦٣]، كما أخذ من **العقد الفريد** بعض الشواهد في معارضة القول: "أحسن الشعر أكذبه"؛ منها بيت شعرٍ نسبه صاحب العقد (فـ: ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م) إلى زهير بن أبي سُلْمَى[٦٤] ونقله حالي بالإحالة عليه:[٦٥] [من البسيط]

وإنَّ أحسن بيتٍ أنت قائله بيتٌ يُقال إذا أنشدتَه: صَدَقَا[٦٦]

فهذه الشواهد عثرت عليها في ***مقدمۂ شعر وشاعري*** بمجرد التصفُّح على غير هدى. وهناك الكثير من ذلك لمن يتناول الكتاب بدراسة على حدة.

٥٩- وكان أصلاً مقدمةً لديوانه الشعري، ثم اعتُبرت هذه المقدمة على مثال **مقدمة ابن خلدون**، ومن حيث كونها محيطةً بالموضوع مبسوطةً في ذلك، مؤلَّفاً مستقلاً في أصول نقد الشعر. والأمد بعيد والكتاب ما زال مرجعاً حيّاً لدارسي النقد الأردي.

٦٠- جديرٌ بالذكر أن الطاف حسين حالي هذا كان يقرض الشعر أحياناً بالعربية كذلك. ومما يُستجاد من شعره العربي قصيدته البائية التي أولها: [من الطويل]

هوى الحور بَلْوَى كلِّ حِبْرٍ ونادبِ وفتنةُ قِسِّيسٍ وزلَّة راهبِ

انظر: **كلياتِ نظم حالي**، طبعة لاهور، ط ١، ١٩٧٠م، ملحق رقم ٣، ص ٤٣٤-٤٤٠.

٦١- منشور من قبل *رائل بک کمپنی* بكراتشي سنة ١٩٨٩م.

٦٢- والمؤلف حيٌّ يُرزق، مقيم في كراتشي، وله إسهامات في مجال البحث والنقد الأدبي الأردي.

٦٣- ***مقدمۂ شعر وشاعری***، ص ١٠٦.

٦٤- أبو عمر أحمد بن محمد عبد ربِّه الأندلسي، **العقد الفريد**، تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، ج ٥، ص ٣٢٦.

٦٥- ***مقدمۂ شعر وشاعری***، ص ١٠٦.

٦٦- والبيت لا يوجد في **ديوان زهير**، طبعة دار صادر، بيروت، وإنما نجده عند حسَّان بن ثابت بتغيير يسير في شطره الأول، أي موضوعةٌ هناك كلمةُ "أشعر" مكان "أحسن"، كما أنه توجد الرواية في بعض الأصول هكذا: "وإنَّ أفضل بيتٍ... إلخ". انظر: **ديوان حسَّان بن ثابت الأنصاري**، دار صادر، بيروت، بدون سنة، ص١٦٩؛ ابن عبد ربِّه، **العقد الفريد**، ج ٥، ص ٢٧٠ و٣٢٦.

وأما الدكتور وقار أحمد فقد عرض في الباب الرابع من كتابه لمباحث **نقد الشعر** وترجمة مؤلِّفه قدامةَ بْنِ جعفر (فـ: ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م)، كما أورد قبله في الباب الثالث أقوالاً كثيرة للنقاد العرب القُدَامَى في معرض الحديث عن تعريف الشعر وما يتعلق به من مباحث. فأحال على ابن رشيق في كتابه **العمدة** هذا القول مثلاً: "... لا يُسمَّى شعراً حتى يكون له وزنٌ وقافية"(٦٧). كذلك جاء ببيانات كلٍّ من الجاحظ (فـ: ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م) وابن خلدون (فـ: ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م) والقاضي الجرجاني (فـ: ٣٩٢هـ/ ١٠٠٢م) في هذا الصدد(٦٨).

وهناك آخرون أمثال المولوي عبد الرحمن في ***مرآة الشعر***(٦٩)، والعلامة محمد إقبال (الشاعر المفكر) في عديد من مقالاته وفي شعره كذلك بحيث تتضح من خلاله نظرته إلى الفن، تلك التي أفاد فيها من القرآن وأقوال النبي عليه السلام(٧٠). وأما المولوي عبد الرحمن فقد تحدَّث في مؤلَّفه عن الشعر وما يتصل به من مباحثَ تنظيرية مختلفة، كما جاء بشواهد من كلام العرب شعراً ونثراً إلى جانب إيراده أمثلةً فارسية وأردية.

وإلى هنا نختم هذا البحث راجين أن نُتْبِعه ببحث آخر امتداداً لبيان هذه الصلات والأواصر المشتركة بين العربية والأردية، ولكن في حقل معيَّن هو "البلاغة". على كلٍّ، فهذه نظرةٌ ـ وإن كانت غير شاملة ـ على ما بين اللغتين من وشائج متينة وعلاقات وثيقة على الصعيدين اللغوي والأدبي، وأرجو أن أكون قد وُفِّقت إلى تقديمها للقرَّاء، علماً بأنه من الصعوبة بمكان في مثل هذه الدراسات الإحاطةُ بالموضوع، كما أنه ليس من السهل عرض كلِّ ما يعثر عليه الباحث وما يقابله حتى في مطالعاته المحدودة بالنظر إلى اتِّساع الموضوع والمادَّة المتاحة المتوفرة حول ذلك. فذلكم غيضٌ من فيض، كما يقولون، إن أفاد شيئاً فمن توفيقه تعالى اسمه وجل شأنه، وإن لوحظ عليه خطأٌ ـ أيّاً كان ـ فالرجاء تصويبه وتسديد خُطَى كاتب البحث، والكمال لله وحده!

٦٧- أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، تحقيق وتعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط ٤، ١٩٧٢م، ج ١، ص ١٥١.

٦٨- ***معروضی تنقید***، ص ٧٩-٨١.

٦٩- منشور بمطبعة جيد برقي پريس في دلهي عام ١٩٢٦م.

٧٠- انظر: إنعام الحق غازي، "نظرة العلامة محمد إقبال إلى الفن"، مجلة **الدراسات الإسلامية**، ج ٣٢، ع ٤، ربيع الآخر ـ جُمادَى الآخرة ١٤١٧هـ/ أكتوبر ـ ديسمبر ١٩٩٦م، ص ٦٧-٨٢.

Abstract

Some Important Aspects of Linguistic and Literary Affinities Between Arabic and Urdu

This article throws light on some linguistic as well as literary affinities between Arabic and Urdu. These affinities developed through a long history of cultural interaction that initially started between Arabs and coastal inhabitants of India. The latter then became the subjects of the former, starting from the caliphate of 'Umar bin al-Khaṭṭāb in ١٥AH/٦٣٦AD till ٤١٦AH/١٠٢٥AD. When Ghaznavis took over the Sub-continent, Persian became the official language of India. After a brief account of these historical developments, the article takes a close look at both the languages to bring out some hither to unnoticed relations between Arabic and Urdu. It describes initially how the Urdu language evolved to be used as a lingua franca for the inhabitants of India, in addition to alluding to the fact that both Hindus and Muslims contributed toward upbringing this newly born language. The article highlights the potential energy of Urdu to express and produce a lot of translated as well as original pieces of prose and poetry. In some ways Arabic also became influenced by Urdu and borrowed few words from the latter. However in comparison with the impact that Arabic did exert on Urdu, not only in field of language (especially in word expressions and grammar), but also in the realm of literature (in poetry and criticism), the influence of Urdu had been minimal.

****